حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم وقال عمرو بن ميمون مات هرون قبل موسى وكانا خرجا الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه موسى وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا قتلته لحبنا اياه وكان محببا في بني اسرائيل فتضرع موسى الى ربه فاوحى اليه ان انطلق بهم الى قبره فاني باعثه فانطلق بهم الى قبره فنادى يا هرون فخرج من قبره ينفض راسه فقال انا قتلتك قال لا ولكني مت قال فعد الى مضجعك وانصرفوا واما وفاة موسى عليه السلم قال ابن اسحق كان صفي الله موسى قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبا يوشع بن نون فكان يغدو ويروح عليه فيقول له موسى يا نبي الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع بن نون يا نبي الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسالك عن شي مما احدث الله اليك حتى تكون انت الذي تبتدي به وتذكره ولا يذكر له شيا فلما راى ذلك موسى كره الحيوة واحب الموت اخبرنا ابو علي حسان بن سعيد المنيعي انا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي انا ابو بكر محمد بن الحسن القطان نا احمد بن يوسف السلمي نا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه نا ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى فقال له اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقاها فرجع الملك الى الله تعالى فقال انك ارسلتني الى عبد لك لا يريد الموت وقد فقا عيني قال فرد الله عينه وقال ارجع الى عبدي فقل له الحيوة تريد فان كنت تريد الحيوة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم الموت قال فالآن من قريب قال ادنني من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلعم لو اني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وقال وهب خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيا قط احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر قالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله لبمنزل ما رايت كاليوم مضجعا فقالت الملائكة يا صفي الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل فاضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت عليه الملائكة وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة فلما مات موسى وانقضت الاربعون سنة بعث الله يوشع نبيا فاخبرهم ان الله قد امره بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرائيل الى اريحا ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبابرة وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علي وقال للشمس انك في طاعة الله وانا في طاعته فسال الشمس ان تقف والقمر ان يقيم حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام كلها فاستباح منهم واحدا وثلثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت الشام كلها لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنايم فلم تنزل النار فاوحى الله الى يوشع ان فيها غلولا فمرهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك فاتاه براس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجواهر قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن في جبل افرايم وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة وتدبيره امر بني اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة قوله عز وجل **واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق** وهما هابيل وقابيل ويقال قاين **اذ قربا قربانا** وكان سبب قربانهما على ما ذكره اهل العلم ان حوا كانت تلد لادم في كل بطن غلاما وجارية وكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوامته اقليما واخرهم عبد المغيث وتوامته امة المغيث ثم بارك الله في نسل ادم قال ابن عباس لم يمت ادم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال غشي ادم حوا بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوامته اقليما في بطن ثم هابيل وتوامته في بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان ادم كان يغشى حوا في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل وتوامته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا حين ولدتهما ولم تر معهما دما فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوامته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان ادم اذا شب اولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن اخر وكان الرجل منهم يتزوج اية اخواته شاء الا توامته التي ولدت معه لانه لم يكن معهم يومئذ الا اخواتهم فلما ولد قابيل وتوامته ثم هابيل وتوامته ليوذا وكان بينهما سنتان في قول الكلبي وادركوا امر الله ادم ان ينكح قابيل ليوذا اخت هابيل وينكح هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اخت قابيل احسن من اخت هابيل فذكر ذلك ادم لولده فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا احق بها ونحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فقال له ابوه انها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يامره بهذا وانما هو من رايه فقال لهما ادم فقربا قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة

نزلت

نزلت نار من السماء بيضاء فاكلتها واذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار واكلته الطير والسباع فخرجا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من اردى زرعه واضمر في نفسه ما ابالي ايقبل مني ام لا لا يتزوج اختي ابدا وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى احسن كبش في غنمه فقربه واضمر في نفسه رضا الله تعالى فوضعا قربانهما على الجبل ثم دعا ادم فنزلت نار من السماء واكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله عز وجل **فتقبل من احدهما** يعني هابيل **ولم يتقبل من الاخر** يعني قابيل فنزلوا عن الجبل وقد غضب قابيل لرد قربانه وكان يضمر الحسد في نفسه الى ان اتى ادم مكة لزيارة البيت فلما غاب ادم اتى قابيل هابيل وهو في غنمه **وقال** له **لاقتلنك** قال ولم قال لان الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني وتنكح اختي الحسنا وانكح اختك الذميمة فيتحدث الناس انك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي **قال** هابيل وما ذنبي **انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين** قال عبد الله بن عمر وايم الله ان كان المقتول لاشد الرجلين ولكن منعه التحرج ان يبسط الى اخيه يده وهذا في الشرع جائز ان من اريد قتله ان ينقاد ويستسلم طلبا للاجر كما فعل عثمان قال مجاهد كتب عليهم في ذلك الوقت اذا اراد رجل قتل رجل لا يمتنع ويصبر **اني اريد ان تبوء** ترجع وقيل تحتمل **باثمي واثمك** اي باثم قتلي الى اثمك اي الى اثم معاصيك التي عملت من قبل هذا قول اكثر المفسرين وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال معناه اني اريد ان يكون عليك خطيئتي التي عملتها انا اذا قتلتني واثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعا وقيل معناه ان ترجع باثم قتلي واثم معصيتك التي لم يتقبل لاجلها قربانك او اثم حسدك فان قيل كيف قال اني اريد ان تبوء باثمي واثمك وارادة القتل والمعصية لا تجوز قيل ليس ذلك بحقيقة ارادة لكنه لما علم بقتله لا محالة وطن نفسه على الاستسلام طلبا للثواب فكانه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة وقيل معناه اني اريد ان تبوء بعقاب قتلي فتكون ارادة صحيحة لانها موافقة لحكم الله تعالى فلا تكون ارادة القتل بل موجب القتل من الاثم والعذاب **فطوعت له نفسه** اي طاوعته وشايعته **في قتل اخيه** وقال مجاهد فشجعت وقال قتادة زينت له نفسه وقال يمان سهلت له ذلك اي جعلته سهلا تقديره صورت له نفسه ان قتل اخيه طوع له سهل عليه **فقتله** فلما قصد قابيل قتله لم يدر كيف يقتله قال ابن جريج فتمثل له ابليس واخذ طيرا فوضع راسه على حجر ثم شدخ راسه بحجر اخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل راس هابيل بين حجرين قيل وهو مستسلم وقيل اغتاله في النوم فشدخ راسه فقتله وذلك قوله **فقتله فاصبح من الخاسرين** وكان لهابيل حين قتل عشرون سنة واختلفوا في موضع قتله قال ابن عباس على جبل ثور وقيل عند عقبة حرا فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من بني ادم وقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح وعكفت عليه الطير والسباع ينتظرن متى يرمي به فتاكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له ثم القاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر فذلك قوله **فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه** فلما راى قابيل ذلك **قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي** اي جيفته وقيل عورته لانه كان قد سلب ثيابه **فاصبح من النادمين** على حمله على عاتقه لا على قتله وقيل على فوات اخيه وقيل ندم لقلة النفع بقتله فانه اسخط والديه وما انتفع بقتله شيا ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن ادم اخاه رجفت الارض بما عليها سبعة ايام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه الله اين اخوك هابيل قال ما ادري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله تعالى على الارض يومئذ ان تشرب دما ابدا وقال مقاتل بن سليمن عن الضحاك عن ابن عباس لما قتل قابيل هابيل وادم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وامر الماء واغبرت الارض فقال ادم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشا يقول وهو اول من قال الشعر

تغيرت البلاد ومن عليها   فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم   وقل بشاشة الوجه الصبيح

وروى عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال من قال ان ادم قال شعرا فقد كذب ان محمدا والانبيا كلهم عليهم السلم في النهي عن الشعر سواء ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه ادم وهو سرياني فلما قال ادم مرثية قال لشيث يا بني انك وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط بالعربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزيدت فيه ابيات منها شعر

ومالي لا اجود بسكب دمع   وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحيوة علي غما   فهل انا من حيوتي مستريح

فلما مضى من عمر ادم مائة وثلثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حوا شيثا وتفسيره